

الخصائص الفنيّة في رواية "لونجة والغول" لزهور ونيسي

Artistic characteristics in the novel "Lunga and the Ghoul" by Zahoor OU Nissi

أمال أورابح *

جامعة الجزائر -2- (الجزائر)

amel.ourabah@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2025/09/29

تاريخ القبول: 2025/09/23

تاريخ الاستلام: 2025/06/30

ملخص:

إنّ الهدف من هذه الدراسة هو بيان الخصائص الفنيّة المختلفة في رواية "لونجة والغول" للأديبة "زهور ونيسي"، وذلك بالبحث عن سمات الخصائص الفنيّة المرتبطة بالزمان والمكان والأحداث والشخصيات والأبطال واللغة والأسلوب، وكذا ما يتعلق من صور بيانية ومحسنات بديعية أضفت على الرواية جانبا من التفنن والإبداع لتصوير أحداثها ومجرياتها.

- الكلمات المفتاحية: رواية "لونجة والغول" - الخصائص الفنيّة - زهور ونيسي

Abstract:

The aim of this study is to explain the various artistic characteristics in the novel "Lunga and the Ghoul" by the writer Zahoor ou Nissi, by searching for the characteristics of the artistic characteristics related to time, place, events, characters, heroes, language, and style, as well as the related graphic images that added to the novel an aspect of artistry and creativity to depict its events. And its course.

Keywords: the novel; lunga and the ogre; artistic characteristics; zahoor ou nissi.

1. مقدمة:

عرف الأدب النسوي حركية ونشاطا معتبرا، حيث نجد أن المرأة العربية قد عملت جاهدة للنهوض بنفسها من أجل الدفاع عن حقوقها الإنسانية كامرأة وفرض التغيير من وضعيتها الاجتماعية في المجتمع الأوربي كالمطالبة بالحرية والمساواة نظير الرجل. أما المرأة العربية فقد شهدت هي الأخرى عدّة تغييرات في حياتها، وذلك بخروجها

* المؤلف المرسل: أمال أورابح

من حياة التقاليد والعادات المرسومة لها، إلى حيز الحرية في التعبير عن رأيها، وكذا البحث عن مكانتها في المجتمع نظير أخيها الرجل. وكانت طريقة تعبيرها عن أفكارها ومشاعرها واختلاجاتها هو القلم، الذي أبدعت به في مجال الساحة الأدبية، مؤلفة في الشعر والقصص والمقالات وفي الرواية أيضا. وهي بذلك قد خرجت من وطأة الأمية إلى مجال الثقافة والعلم والإبداع فتفتنت في مختلف مناحي الحياة، كما اندمجت من خلال نهضتها هذه في المجتمع الذكوري وشقت لنفسها طريقا للدفاع عن حقوقها وكرامتها وموقعها من المجتمع، فأسهمت علميا وفكريا واجتماعيا وسياسيا وتاريخيا وحضاريا. وعبرت عن رأيها وعن أحلامها وطموحها وآمالها وآلامها.

وإن كان الأدب النسوي قد لقي من التأييد والرفض ما لقي، إلا أنها بقيت متمسكة برأيها في الكتابة وحملت على عاتقها راية التعبير بالقلم لتثير الانتباه وتلفت النظر إليها، حتى تخرج من دائرة التهميش الذي عاشته. وبالعودة إلى أدبنا العربي، فإننا نجد العديد من الأسماء اللامعة لأدبيات وقصاصات وشاعرات وروائيات ذاع صوتهن على مستوى الساحة الأدبية العربية والعالمية.

وقد وقع الاختيار في هذه المداخلة على كاتبة روائية جزائرية مناضلة ومبدعة في مجال الأدب، وهي " زهور ونيسي" من خلال العنوان الآتي: "الخصائص الفنية في رواية لونجة والغول" للروائية " زهور ونيسي"، منطلقين من الإشكالية الآتية:

– فيم تتمثل الخصائص الفنية في رواية "لونجة والغول"؟

هادفين من خلالها إلى إبراز مختلف الخصائص والآليات التي أضفت على الرواية جمالا فنيا أبرز فيها الجوانب الإبداعية للروائية.

2. التعريف بالروائية زهور ونيسي:

" زهور ونيسي" علم من أعلام الجزائر، وهي من مواليد ديسمبر 1937، بمدينة قسنطينة (الجزائر). كما أنها اسم معروف بشخصيتها السياسية والنضالية، وكاتبة وأديبة روائية. ذاع صيتها على مستوى الساحة الأدبية العربية داخل الجزائر وخارجه.

وللأدبية عدّة شهادات علمية، فهي متحصلة على شهادة ليسانس في الأدب و ليسانس في الفلسفة ودراسات عليا في علم الاجتماع.¹ وهذا دليل واضح على عمق ثقافتها ورؤيتها للقضايا والأفكار التي تعمل على طرحها في أعمالها الأدبية.

تقلّدت " زهور ونيسي" عدّة مناصب عليا، وهي على النحو الآتي ذكره:

- " عضو مؤسس للاتحاد الوطني للنساء الجزائريات
- عضو اتحاد الكتاب الجزائريين
- عضو اتحاد الصحفيين الجزائريين
- مديرة ورئيسة تحرير مجلة " المرأة" الجزائرية بالاتحاد الوطني للنساء الجزائريات من سنة 1970 إلى سنة 1980

- عضو سابق في المجلس الشعبي الوطني من 1977 إلى 1982
- عضو اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني 1983
- وزيرة للحماية الاجتماعية²
- أما عن انتاجاتها الأدبية، فإنّ للكاتبة أعمالاً فنيّة عدّة ، منها ما هو روائي ومنها ما هو في مجال القصص و السير الذاتية والمقالات والمسرح، نجمل ذكرها فيما يلي:

2-1- في مجال القصص:³

- الرصيف النائم: مجموعة قصص قصيرة، أصدرتها الدار القومية للطباعة بالقاهرة سنة 1967
- على الشاطئ الآخر: مجموعة قصص قصيرة، أصدرتها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، سنة 1974 ط1، وسنة 1979 ط2
- الظلال الممتدة
- عجائز القمر
- روسيكادا

2-2- في مجال الرواية:

- من يوميات مدرسة حرّة: من الأدب الروائي، أصدرتها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1979
- لونجة والغول، التي هي محل الدراسة
- 2-3- في السيرة الذاتية : لها كتاب " عبر الزهور والأشواك"
- د- أما المقالات والمسرحيات: فلها:
- نقاط مضبوطة
- دعاء الحمام، وهي مسرحية في الثقافة والسياسة والمجتمع
- ونظرا لتمييز هذه الأعمال الإبداعية ، فقد ترجمت لعدة لغات، وحُوّل بعضها إلى أعمال مسموعة ومرئية.

3. المضمون العام للرواية:

تعد رواية " لونجة والغول" الإبداع السادس للكاتبة، وهي صادرة عام 1992، عن مطبعة دحلب بحسين داي (الجزائر)، مكونة من 142 صفحة. تتضمن معاناة الشعب الجزائري وكفاحه ونضاله إبان فترة الاستعمار ، تدور أحداثها حول القصة وما فيها من أحداث ووقائع في كل مدينة من مدن الجزائر، ومدن الوطن العربي، حيث تعد هذه الأخيرة نموذجاً حيّاً لما يعانيه الشعب من ولايات المستعمر، من ظلم وقهر وتعذيب وتشنيت وتيتيم ، وهي مجزأة إلى سبعة فصول، على النحو الآتي ذكره:

– **الفصل الأول:** تصور لنا فيه الروائية حالة الواقع المعيش البائس والمزري إبان الثورة التحريرية، وهي عائلة جزائرية مكونة من أربع بنات وثلاث ذكور والأم والأب، يعيشون في حي القصبة العتيق، وهم في حالة من الفقر والبؤس والحرمان في ظل الاحتلال الغاشم، فكل فرد منهم وضعه النفسي أسوأ من الآخر بسبب الفقر والحاجة، وبسبب الشقاء والتعثر خصوصاً الوالد محمد، الذي يكّد ويتعب كثيراً في حمل الأثقال القادمة من السفن والقوارب، حتى يحصل بها على أجر أسبوعي بسيط، إذ لا يشغله من هذه الحياة سوى قوته وقوت عياله ولا شيء آخر.⁴

– **الفصل الثاني:** تدور أحداثه عن شهر جديد ويوم جديد على سكان أهل القصبة، وتحديدًا عمال البناء الحمالون للبضائع وهم عمّي محمد والد مليكة، وعمّي سحنون ورفاقهم في العمل، عمّي سحنون الذي سمع خبراً في المذياع، جعل العمال يلتفوا حوله يتناقشون ويتساءلون حول حقيقة هذا الخبر، هل حقاً ما سمعوه عبارة عن إيدان للثورة على الفرنسيين وإعلان الحرب ضدهم، فقد أصبح الناس منذ سماع هذا الخبر ملتفين حول جهاز الراديو لمعرفة المزيد من الأخبار، وأصبح الحديث عن الثورة حديث العامة والخاصة الكبير قبل الصغير، فأضحى شغلهم الشاغل هو الاستماع للمذياع وقراءة الصحف والجرائد. وفي غضون هذه الأحداث كلها استجد حدث جديد على عائلة مليكة وهو تقدم شاب لخطبتها وموافقة والدها عليه، حيث تمت الخطبة وقراءة الفاتحة وهي لم تقتنع به، وبالمرافقة مع هذه الفرحة تفاجئوا بأنهم رشيد وهو يخبرهم بالتحاقه بصفوف الثوار وترك المنزل لأن واجب الوطن يناديه.⁵

– **الفصل الثالث:** هذا الفصل جعلته الروائية للحديث عن حياة مليكة الزوجية المفعمة بالمودة والاحترام بينها وبين زوجها وأهله، فهي سعيدة ومرتاحة معه بعدما ظنت أنها لن ترتاح معه. فمحبتهما لبعضهما البعض كانت تزداد يوماً بعد يوم. إلا أنه فعل ما فعله أخوها رشيد وهو الالتحاق بصفوف الثوار والمجاهدين، تاركاً إياها حاملاً بولده، الذي لا يُعرف مصيره أو مصيرها والجنين الذي في بطنها، ومليكة مقهورة على حالتها هذه فهي مرة حزينة مكتئبة ومرة متفائلة بعودة زوجها وأخيها سالمين.⁶

– **الفصل الرابع:** يروي هذا الفصل عن يوم من أيام شهر جوان، الذي عرف عودة النشاط والحيوية في رصيف ميناء الجزائر العاصمة، كما يتحدث أيضاً عن مرض والد مليكة الذي ألزمه أخذ عطلة مرضية دون مقابل أو تعويض مادي.

والأهم من هذا كله، هو التركيز على حدث مهم وسيئ قلب المجتمع الجزائري وسكان حي القصبة تحديداً رأساً على عقب، وهو حصول انفجارات لقنابل بلاستيكية واندلاع نيران ملتهبة في ميناء الرصيف لحظة استراحة العمال فيها، وهو ما أودى بحياة ستين عاملاً على رأسهم مشرفهم "مسيو جاك"، حيث أصبحت أجسادهم ممزقة ومتناثرة، لا يمكن تمييزهم. فراحوا ضحايا وشهداء لهذا الانفجار الرهيب، إذ كان القتل جماعياً، وأضحت بيوت القصبة العتيق مآتم دون أموات، لأن عمّي محمد ورفاقه استشهدوا ودفنوا عن طريق العسكر في أكبر وأبعد مقابر المدينة.⁷

- **الفصل الخامس:** يروي لنا هذا الفصل عن ولادة مليكة لابنها الذي يحمل اسم والده "أحمد"، ليحيي ذكره. ورغم أمومتها وحملها لطفلها للمرة الأولى، إلا أنّها لم تستطع أن تفرح به لفقدانها لأبيها وزوجها أحمد، فهي تعيش مرارة الفراق وتتساءل في قرارة نفسها كيف سيعيش هذا الطفل دون أب يعطف عليه ويلبي حاجياته؟. وهي لم تستطع أيضاً أن تصدق خبر استشهاد زوجها معتقدة أنّ الخالة بحجة تكذب في خبرها هذا وتطالبها برؤية جثته حتى تصدقها.

وفي يوم من الأيام، نهضوا على دقات الباب يُطرق بشدّة فإذا هم يتفاجؤون بالدوريات والعساكر يقتحمون البيت لتفتيشه، وتم القبض على كمال ليتم إطلاق سراحه بعد أيام.⁸

- **الفصل السادس:** يتحدث هذا الفصل عن زواج مليكة من كمال أخو زوجها الأول، وذلك أمام جمع من الرجال من الأهل والجيران، وبمهر رمزي بسيط، وكان زواجها في بدايته شكلياً، لأن كل واحد منهما بمثابة الأخ للآخر. غير أنّه مع مرور الأيام والأسابيع ازدادت العلاقة بين مليكة وكمال قوّة وعاشا في سعادة بينهما مودة واحترام متبادل، لولا طيف أحمد الذي كان بمثابة عائق بينهما. وذات يوم صارحها كمال بسر عظيم وهو انضمامه للعمل النضالي، طالبا منها إخفاء بعض الأوراق والسلاح بعيداً عن الأنظار، منبهاً في الوقت نفسه أنّ حياته أصبحت مهددة بخطر انكشاف أمره من قبل المستعمر وإمكانية اعتقاله ووقوعه في أيديهم في أية لحظة.⁹

- **الفصل السابع:** لجعل هذا الفصل للحديث عن النصر الذي حققه الشعب الجزائري وهزيمة المستعمر، بعد طول انتظار وعودة البسمة والأمل في وجوه الشعب الجزائري الذي كان ينتظر الاحتفال بالنصر والحصول على الحرية، بعد معاناة كبيرة جاءت مُثقلة بالألم والفراق والجوع والحرمان والخوف والرعب واليأس.

كما يتحدث أيضاً عن ولادة مليكة لابنة من كمال، وموتها بعد الولادة تاركة إياه عرضة للألم واليأس والوحدة والوحشة، ولم يستطع أن يفرح أو يهنأ بسبب فراقها المفاجئ.¹⁰

ويرى الناقد عبد القادر كعبان أنّ الرواية "زهور ونيسي" قد أعادت إحياء قصة لونجة والغول الشعبية ذات القيمة التراثية، التي تعد في نظره بحاجة إلى مزيد من التمحيص والتدقيق، حتى يتم إدراكها، ويرى كذلك أنّ الرواية أبدعت في عملية السرد بتقنية عالية، كما استطاعت اختراق حاجز الزمن بين الماضي والحاضر المتعلقين بالتراث والتاريخ المتوارث جيلاً بعد جيل،¹¹ وهو ما سنعمل على إبرازه في ثنايا هذا المقال.

ونظراً لأهميتها، فقد حظيت بعدة أبحاث ودراسات من مختلف النواحي، نذكر على سبيل الذكر لا الحصر دراسة الباحثة "حنان بن قيراط" في مقال لها حول "تجليات الثورة التحريرية في رواية لونجة والغول لزهور ونيسي"، الذي سعت من خلاله إلى إبراز دور الثورة عامة والثورة الجزائرية بشكل خاص في إلهام القرائح نحو الكتابة والإبداع، ومنهم الكاتبة زهور ونيسي التي عايشَت الحدث الثوري فصورته أحسن تصوير في روايتها، منطلقة من إشكالية مفادها كيف جسّدت الثورة التحريرية صورة المرأة الثورية؟ وكيف جسّدت الرؤية الثورية جماليات التاريخ والهوية في

تشكيل الوعي؟، لتصل في الأخير إلى نتيجة هي أن الثورة أحدثت تفاعلا بينها وبين الأدباء والكتاب والشعراء في تصوير أحداثها وبطولاتها وانتصاراتها، حيث كانت مصدر إلهان لهم في الكتابة والإبداع حولها.¹² وتأتي مداخلتنا لتكشف عن أهم الخصائص الفنية واللغوية بكل عناصرها وأشكالها التي عبرت عن الثورة وأحداثها ومجرباتها بشكل فني باهر وبأسلوب تأثيري إقناعي.

4. الخصائص الفنية للرواية: لرواية "لونجة والغول" خصائص فنية عديدة جعلتها متميزة من حيث الجانب الفني والإبداعي لها، وهذه الخصائص تشمل عدة عناصر من زمان ومكان وشخصيات وسرد وحوار ولغة وأسلوب وصور بيانية ومحسنات بديعية، والتي سنذكرها فيما يلي:

4-1: البنية الزمانية والمكانية:

* **البنية الزمانية:** اعتنت الروائية "زهور ونيسي" في تأليف روايتها بالحدث والزمن عناية شديدة، حيث عملت على توظيف الحدث في جانبه الاجتماعي الإنساني أكثر من أي جانب آخر، كما وظفت الزمن عن طريق اعتمادها على تقنية تقديم وتأخير الأزمنة للأحداث المروية، وذلك بالتصرف بما يخدم الجانب الإبداعي للرواية من جهة، محاولة تفادي الوقوع قدر الإمكان في فخ السرد التاريخي والتقريبي لمجريات الرواية وأحداثها من جهة أخرى. ومن هنا، فقد جعلت الحدث والزمن خاضعين خضوعا تاما للعمل الإبداعي الذي تغلغل في أعماق وأبعاد الإنسانية. إذ كان تاريخ وزمن الكتابة مرتبطا بحقبة تاريخية مهمة من تاريخ الجزائر، ألا وهي فترة الاستعمار الغاشم، أين عرف الشعب الجزائري المناضل ثورة تحريرية عظيمة مفعمة بالبطولات والتضحيات والنضال، فكانت بذلك من أعظم الثورات في العصر الحديث. وبهذا، فإنها قد جعلت من الحدث والزمن هزة وصل متينة لتلاحم الأفكار الوطنية النبيلة.¹³

* **البنية المكانية:** جعلت الروائية من رواية "لونجة والغول" الجزائر التي هي جزء من قارة إفريقيا، محورا للحديث عما يدور فيها من أحداث مؤلمة وقاسية إبان الثورة التحريرية، وقد اختارت على وجه الدقة والتحديد حي "القصبة العتيق" لما عرفه هذا الأخير من أحداث ثورية من جهة، و لما عاناه سكانها وأهلها من جهة ثانية، من خلال التحدث عما يحدث داخل بيوتها وأزقتها من جوع وحرمان وفقر، وكذا خروج العديد من شبابها للالتحاق بصنف الثوار، وهو الأمر الذي زاد من مرارة الألم والقلق والتوتر لعدم سماع أخبارهم أو وصول أخبار سيئة عنهم. كما اختارت كذلك الحديث عن "رصيف ميناء الجزائر العاصمة"، لتروي من خلاله معاناة العمال فيه وما يتعرضون له من تعب وكد نظير لقمة عيش تسد قوت يومهم، وكذا لما عرفوه من استبداد وظلم واحتقار، لينتهي بهم الأمر في آخر المطاف بالاستشهاد فيه إثر قنابل بلاستيكية أودت بحياتهم جميعا، حيث ارتوى ذاك الرصيف بدماء هؤلاء الشهداء. إضافة إلى هذا نجد مكانا آخر يعد شاهدا على ما يحدث للشعب من خوف وقلق وظلم وهو "سجن بربروس" الكائن مقره في أعالي القصبة، والذي يعد من أكبر سجون البلاد، وقبرا من

القبور الكبيرة لرؤوس تحزها المقصلة كل فجر. إذ على حائط وبوابة السجن تعلق بعض الصور واللافتات التي تحوي على كتابة، قصد التعرف على ضحايا وشهداء المقصلة عند كل فجر.¹⁴

كما تناولت كذلك فضاء مكانيا آخر وهو "الحجرة الصغيرة" التي جمعت مليكة بزوجه الأول أحمد، وزوجها الثاني كمال، وما شهدته هذه الأخيرة من حزن وقلق وألم وفراق، ومن أسرار مخبأة وتفاؤل بغد أفضل.

فكانت هذه الأماكن سواء المغلقة منها ك البيوت وحجرة مليكة وسجن بربروس ، وكذا المفتوحة كأزقة القصبة وأحيائها ورصيف مينائها ومقبرة الوالي الصالح شاهدا على ما عاشته شخصيات الرواية وأبطالها من وقائع ومعاناة وأحداث أليمة وظلم وقهر وفراق وألم وتفاؤل بالنصر رغم المصير المجهول لهؤلاء.

4-2- الشخصيات والأبطال: اعتنت " زهور ونيسي" بشخصيات وأبطال الرواية عناية شديدة، حيث عملت على وصفها وصفا دقيقا بذكر مختلف التفاصيل حولها، إذ مثلت كل شخصية من الشخصيات المذكورة معاناة الأسرة الجزائرية إبان الثورة التحريرية، والتي كانت رمزا للبؤس والشقاء والمعاناة والبطالة والظلم والمرض، وهم لا حيلة لهم في تغيير وضعهم المزري، وهذه الشخصيات تتمثل في:¹⁵

* **مليكة:** فتاة في عمر 17 عاما وهي تتصف بالجمال، غير أنّها بأساء وفقيرة، تتألم بصمت بسبب وضعيتهم الاجتماعية السيئة من فقر وجوع وحرمان، تتأمل وتتدبر في صمت دون أن تعبر عن مشاعرها وآلامها

* **والدة مليكة:** " الزهرة" عبارة عن أم مسالمة، فهي راضية ومكتفية بوضعها الاجتماعي رغم الحاجة، إلا أنّها حامدة الله على نعمة الصحة والعافية والزوج والولد.

* **والد مليكة:** " محمد" قانع وراضٍ، رغم حالة الفقر إلا أنّه يعيش من عرق جبينه، ويتعب مثل الجميع، فهو يحمد الله على كل شيء رغم المعاناة والألم، غير أنّ طبعه الانفعالي كثيرا ما يقوده إلى القنوط والتشاؤم والشعور الدائم بالغبن والظلم. فهو حَمَل للبضائع الثقيلة، يقتات قوته باليوم أو بالأسبوع حسب الحظ.

* **أخو مليكة:** " رشيد" يأكل ويشرب، ويفرح ويغضب، ويحتج أيضا على الأكل السيئ واللباس القديم، فهو شخصية متدمرة على وضعهم الاجتماعي، يلوم والديه على المجيئ به على هذه الدنيا البائسة، ويعتبرهما مسؤولان عمّا يعيشه من بؤس وشقاء.

* **الجيران والأحباب:** فقراء ومعوّزون، يعانون من البطالة أو عدد أفراد العائلة، ومن المرض. وحالهم لا يختلف عن حال عائلة مليكة في البؤس والحرمان والشقاء.

* **سليم ابن الجارة:** شاب معجب بمليكة

* **أنيسة:** إحدى زميلات مليكة في المدرسة، وهي فتاة من عائلة غنية تعيش في ترف من مأكّل وملبس ومشرب

* **عمي سحنون:** زميل والد مليكة في العمل، يرقص على أنغام الراديو ويدند حتى ينسى مشاكله وهمومه

* **رفقاء محمد:** وهم من عمال البناء شباب وشيوخ، وهم تقريبا نسخة مكررة عنه وعن حالته الاجتماعية المزرية.

* أحمد: خطيب مليكة، شاب في العقد الثالث فيه نوع من الملاحه، يتميز بالحشمة والتهذيب، وقد التحق بصفوف جيش التحرير

* خالتي البهجة: طليقة كهلة تعمل طبابة في حمام الحي، لم تنجب في حياتها، بل تقوم بتربية أبناء أخيها المتوفى بعدما تطلقت وهي شابة، تقوم بعدة أشياء ومهام، فهي تعمل متطوعة لمساعدة الآخرين، السؤال عن المرضى والغائبين، اكتشاف العرائس، بيع الذهب وشراؤه، أي إنها تسعى لمساعدة الجميع، خصوصا ما تعلق بترويج الأخبار عن الثورة من المنكوبين وعدد الضحايا والجرحى، كما تعين الثوار على نقل أخبارهم بما يخدم الثورة التحريرية ويُفسد على المستعمر خطته.

* كمال: هو أخو أحمد زوج مليكة، وزوجها الثاني بعد استشهاد أخيه

* فاطمة: زميلة مليكة وجارتها، وقد تزوجت هي الأخرى في سن 18 من رجل أربعيني.

عمر ومصطفى وعلي وحسيبة وجميلة: أبطال شاركوا في العمليات الثورية ضد المستعمر.*

وهذه الشخصيات بمشاعرها المختلفة والمتناقضة قد أسهمت بشكل فاعل في حركية وديناميكية العملية الإبداعية للرواية وما وقع فيها من أحداث ووقائع، فشكّلت هذه الشخصيات سواء الرئيسة منها أو الثانوية أدوات فنية، تمّ اعتمادها وتوظيفها في التنفن والإبداع للأحداث والوقائع المروية. بل في إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية لها.

4-3- البنية السردية والحوارية:

لم يكن سرد الأحداث سردا تاريخيا متسلسلا يبعث الملل إلى العقول، بل عمدت فيه " زهور ونيسي " إلى التلاعب به عن طريق تقنيتي الاستباق والاستدكار للأحداث لتثير بمهما صفة المتعة والتشويق في أنفس المتلقين والقارئ للرواية، كونها تجعل القارئ متعطشا ومتشوقا لمعرفة مزيدا من التفاصيل حول الرواية وأحداثها، فتارة تتحدث عن الحاضر وما به من أحداث مثل الحديث عن مستجدات ما يحدث في بيوت القصة من أخبار وحوادث، وأخرى عن الماضي باسترجاع الذكريات، مثلما هو الحال بالنسبة لعمي محمد الذي راح يسترجع ذكريات ماضيه وطفولته مع والده ثم يعود إلى حاضره وواقعه المؤلم، وحينما حول المستقبل لما تحمله شخصيات الرواية من توقعات للمستقبل خلال نظرات التأمل نحو غد أفضل فيه توقعات لعودة كل غائب أو سماع خبر مفرح عنه، وتفاؤل بالانتصار للشعب الجزائري وإعلاء كلمة الحق، لتعود بنا إلى الحاضر مجددا لسرد مستجدات العمل النضالي والبطولات التي يحققها الثوار والفدائيين والمناضلين من الرجال والشباب والنساء كل بقدر مساهمته.¹⁶

وقد تخلل السرد حوارا داخليا وخارجيا لأبطال الرواية، أكسبها بعدا تأثيريا قويا في نفوس المتلقين، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، من الحوار الداخلي مثلا ما جرى في نفس عمي محمد وهو في طريقه إلى عمله، متمنيا البكاء على حالته، إلا أنّ القوانين والقيّم والتقاليد تمنعه من فعل ذلك كون الدموع للنساء فقط، ولا يحق للرجال البكاء والتنفيس عن إحساسهم وشعورهم بمرارة الحياة وقسوتها. فقرر البكاء على حالته قائلا بينه وبين نفسه: " ابك يا محمد ابك، أنت حر نعم حر في أن تفعل ما تريد"¹⁷

ومن الحوار الخارجي، نذكر مثلاً حوار الزهرة مع جارتها حول مسألة تزويج البنات، وحوار عمي سحنون مع رفقاءه في العمل وهو يحدثهم عن السردين قائلاً: "ورحمة جدي (الدندان)، إن السردين أجمل الأسماك لولا رائحته، إنه كقطع فضية متألّلة تتحدّى في لوّنها كل الأسماك وأغلاها، ولو أنهم يقولون إن السردين طعام الفقراء المتعبن، بعضهم لا يرضى إلا بالسلطان إبراهيم، وهو في حمرة الشفق، أو كلب البحر أو الحمامة، وكأنها رغبة الموج في حالة الهيجان..."¹⁸

بالإضافة إلى حوار مليكة مع خالتي البهجة لمعرفة أخبار عن أخيها رشيد وزوجها أحمد، وحوارا مع زوجها كمال الذي اعترف لها بانضمامه في العمل الفدائي.

4-4- اللغة و الأسلوب:

إنّ القارئ لرواية "لونجة والغول" يجد بأن الأسلوب فيها جاء سهلاً بسيطاً وواضحاً لا يكتنفه أي غموض سواء من جهة الألفاظ أو المعاني، حيث عمدت الروائية إلى توظيف جمل بسيطة واضحة المعنى، كما امتزج فيها استعمال اللغة العربية الفصحى والعامية الجزائرية في بعض السياقات والمواقف. حيث تم توظيف الفصحى أثناء سرد الأحداث والوقائع وحتى في الحوارات القائمة بين شخصيات الرواية ذاتها، أما العامية فكانت ظاهرة في قول إحدى الجارات للزهرة: "ياسعدك يا الزهرة أعطاك الله ابنة جميلة كالقمر، الله يبارك"¹⁹، وكذا في قول خالتي البهجة للمليكة ناصحة إياها بالاستمتاع بالحياة واغتنام فرص ولحظات السعادة وعدم تفويتها كونها لا تعوض، ولا يُعرف المصير المجهول: "اغنم ساعة في الحياة يا من عينك بكاية. اللي مكتوبة تكون راهي الدنيا ساعة"، وقولها في موضع آخر: "الجندي خويا ما تعديش علي، تشوفك فرنسا وتقتلك بالعدرة... الجندي خويا..."²⁰ كما جاء أسلوب الرواية خبرياً تقريرياً في معظمه وهو ما يتلاءم مع طبيعة السرد الروائي، خصوصاً أن كل فصل من فصول الرواية يسرد لنا أحداثاً وأخباراً جديدة حول الضحايا والقتلى والأسرى والشهداء، ويعرض أخبار كل شخصية مع كل يوم جديد، أو شهر جديد، أو فصل من فصول السنة.

وقد تخلله أيضاً الإنشاء خصوصاً الاستفهام، الذي جاء في شكل سلسلة من التساؤلات التي كانت تختلج في ذهن كل شخصية من شخصيات الرواية، منه ما هو بحاجة إلى أجوبة شافية ومقنعة كسؤال مليكة عن أخبار زوجها أحمد وأخيها رشيد، وسؤال العمال عمي سحنون عن جديد الثورة وصحة الأخبار المتداولة عبر أجهزة الراديو والجرائد، ومنها ما هو استفهام تقريرياً أو إنكارياً للحالة المزرية التي تعيشها شخصيات الرواية وأبطالها، مثال على ذلك، سؤال رشيد عن سبب مجيء والديه به لهذه الحياة وهما غير قادرين على رعايته، وسؤال مليكة عن سبب وجود الفقر، ولماذا بعض الناس محرومون من أبسط الأشياء والبعض الآخر مفعمون بكل الخبرات دون تذكر للفقراء والتصدق عليهم.

وسؤال مليكة خالتي البهجة عن سبب عدم زواجها، وسؤالها أيضاً عن إمكانية غلبة الحياة على الموت وكيف بالإمكان التعايش مع الحاضر ونسيان الماضي الأليم وكل من تم فراقهم، وتتساءل أيضاً عن سبب مجيء ابنها لهذه

الدنيا القاسية، ولماذا يولد يتيما دون أب يرباه ويلبي حاجياته وغيرها من التساؤلات التي تعد في حقيقة الأمر فضولا لمعرفة الأخبار الصحيحة والحقائق... ونجد كذلك توظيفاً للنهي في قول خالتي البهجة للمليكة: " لا تنزعجي هكذا يا ابنتي واهتمي بجنينك سآتي لك بخبر زوجك مهما كان نوع الخبر صحيح أن معارفي غير مجاهدين ولكنهم يعرفون كل شيء" ²¹.

4-5- البيان والبديع:

امتازت الرواية من الناحية الفنية بجانب فني باهر لفظاً ومعنى زادها جمالا في الأسلوب من خلال ما تم توظيفه من صور بيانية من تشبيه واستعارة وكناية ومن محسنات بديعية زادت المعنى وضوحاً أكثر. فمن الصور البيانية الواردة نذكر على سبيل الذكر لا الحصر ما يلي: ²²

- **التشبيه:** للتشبيه عند البلاغيين موقع حسن في الكلام ، فهو من شأنه تحقيق أغراض بلاغية عدة كزيادة المعنى وضوحاً وبيانا أكثر، وهو ما نجده في نص الرواية، في قول إحدى الجارات للزهرة والدة مليكة : " أعطاك الله ابنة جميلة كالقمر"، حيث تم تشبيه مليكة بالقمر في الحسن والبهاء ، وهذا من شأنه أن يعطي صورة حقيقية عن جمالها وروعته، وكذلك توظيفه في العبارة الآتية : " ألم يجعل الأديان الناس سواسية كأسنان المشط"، فهذا تشبيه قائم على تشبيه الناس بأسنان المشط في الاستواء، وفي ذلك بيان للمعنى وتوضيحه أكثر. الذي يعكس التساؤلات التي تختلج شخصيات الرواية حول المفارقات الموجودة رغم كون الناس سواسية.

- **الاستعارة :** تعد الاستعارة صورة من صور التوسع في الكلام، إذ بها يتم تحقيق عدة معانٍ ، كبث الحركة والحياة في الجماد والتشخيص والتجسيد وزيادة المعنى قوة وتأثيراً في نفوس المتلقين، وهذا ما نجده متحققاً في الرواية في قول الروائية: "مدينة تحممت بالعطر وتنشفت بالنور"، حيث تم تشبيه مدينة القصة بالإنسان الذي يتحمم ويتنشف، فذكرت المشبه (المدينة) وحذفت المشبه به (الإنسان) وتركت القرينة وهي (تحممت وتنشفت) على سبيل الاستعارة المكنية التي قربت الصورة ووضّحت المعنى أكثر وكان هذا من قبيل تشخيص المعنى وتوضيحه.

وكذا نجد قولها: " الأفكار تتسارع في ذهن محمد"، حيث تم تشبيه الأفكار التي هي شيء معنوي بالإنسان الذي يتسارع في مشيته، فذكر المشبه (الأفكار) وحذف المشبه به (الإنسان) وتركت القرينة الدالة عليها (تتسارع) على سبيل الاستعارة المكنية، والغاية منها هو تشخيص المعنى وتوضيحه .

وقولها أيضاً في موضع آخر: " عندما تهجم الشيوخوخة"، تم تشبيه الشيوخوخة بالحيوان المفترس الذي يهجم على فريسته على حين غرة، فذكر المشبه (الشيوخوخة) وحذف المشبه به (الحيوان المفترس)، وتركت القرينة الدالة عليه وهي (تهجم) على سبيل الاستعارة المكنية، الدالة على المبالغة في تصوير المعنى.

- **الكناية:** تعتبر أبلغ من الحقيقة والتصوير، يلجأ إلى توظيفها لأجل تحقيق المبالغة في التعبير عن المعنى المراد، والتأثير في نفوس المتلقين وفي التفخيم والتبجيل والتعظيم لبعض المسائل، وهذا ما نستشفه في العبارة الآتية: " إنَّ

البراكين التي طال خمودها ستنفجر انفجاراً"، كناية عن صفة وهي شدة غضب الثوار. إذ لو تم التعبير عن غضبهم بشكل صريح ومباشر لما كان لها هذا التأثير القوي في النفوس، وقولها أيضاً: "مزقتهم انفجاراتها المتتالية"، كناية عن صفة التفرقة والتشتيت، وقولها في موضع آخر: "إنهم ملائكة يسكنون قمم الجبال من السحب" وهي كناية عن صفة الرفعة التي توضح أكثر ببالكناية لا بالتصريح. وهذه الكنايات مجتمعة زادت الرواية وضوحاً وبياناً في المعنى المراد التعبير عنه.

ومن المحسنات البديعية الواردة نجد كلا من الطباق والمقابلة حاضرين حضوراً قوياً، نذكر على سبيل المثال عبارة: "الفقر والغنى.... داخل البيت وخارجه.....". أوعية مخزنة للدموع تحت جفونهم، مخزنة لأنواع مختلفة من الدمع، فيه الصادق وفيه الكاذب، دموع للفرح وأخرى للحزن، دموع للخوف ودموع للشفقة، دموع على الماضي ودموع على الحاضر وأخرى على المستقبل المجهول..... دموعاً ساخنة وأخرى باردة"²³

أما المقابلة، فتتجلى في قولها: "ولكن الفرنسيين هم الأقوى والأغنى والسادة والعرب هم الأضعف والأفقر وهم خدام أولئك وعبيدهم"²⁴، وهي مقابلة رباعية عملت على توضيح المعنى وبيان بقلّة. فهذه الطبقات المذكورة والمقابلة الموظفة عبّرت عن تناقضات الحياة بشكل جيّد، إذ عملت هذه الأخيرة على تقوية المعاني وتوضيحها، حيث إنّّه بالأضداد تفهم المعاني. وهي كذلك بالفعل حيث أسهمت هذه الطبقات والمقابلات على رسم تلك الصورة للمشاعر المتناقضة لشخصيات الرواية، كما أوضحت المفارقات الموجودة في حياة هؤلاء الأشخاص ما جعلهم يتذمرون لحالهم المزري.

5. خاتمة:

تبين لنا أنّ رواية "لونجة والغول" كانت رمزا لثنائية الخير والشر، أين تغلب الخير على الشر في الأخير والخير ممثلاً في الجزائر من خلال نضال سكانها وثوارها الذين يطالبون بحقوقهم في الحرية واسترجاع أرضهم، أما الشر فممثلاً بالمستعمر الغاشم وما يقوم به من أعمال قمعية، ولما يتّصف به من صفات الشرّ بكل أنواعه وأساليبه من تعذيب وتدمير وقتل وتشتيت... وغيرها.

وقد أبدعت "زهور ونيسي" في اتخاذ كل من الزمان والمكان والشخصيات والأبطال والسرد والحوار ومن الأسلوب واللغة والصور البيانية والمحسنات البديعية عناصر وأدوات فنيّة لتصوير معاناة الشعب الجزائري إبان الثورة التحريرية، وكذا تصوير وقائع وأحداث تلك الثورة بشكل فنيّ مميز، جعل جريان الرواية مرتبطاً بتلك العناصر، حيث أسهم كل عنصر فيها في بناء الرواية وسبك مجرياتها ووقائعها، كون شخصيات الرواية وأبطالها وأحداثها كلها مستمدة من الواقع المعيش، ما أعطى للرواية بعداً فنياً تأثيرياً في نفوس المتلقين من خلال اللغة المعبر بها التي جمعت بين الفصحى والعامية الجزائرية.

5- الهوامش:

- ¹ - موسوعة ويكيبيديا الحرة، 2023 ، زهور ونيسي ، <https://ar.wikipedia.org/wiki> ، آخر تعديل للصفحة: 03 أكتوبر 2023 ، تاريخ الدخول: 2024/12/28 ، الساعة: 16:26
- ² - زهور ونيسي، الظلال الممتدة، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1985، صفحة الغلاف
- ³ - زهور ونيسي، جسر للبوخ وآخر للحنين، مكتبة نوميديا، منشورات زرياب، 2006، صفحة الغلاف
- ⁴ - زهور ونيسي، لونجة والغول، مطبعة دحلب، حسين داي، الجزائر، ص: 8....38
- ⁵ - المصدر نفسه، ص: 39....59
- ⁶ - المصدر نفسه، ص: 60...71
- ⁷ - المصدر نفسه، ص: 72...85
- ⁸ - المصدر نفسه، ص: 86....100
- ⁹ - المصدر نفسه، ص: 102...125
- ¹⁰ - المصدر نفسه، ص: 127....142
- ¹¹ - عبد القادر كعبا، 2024، بنية التراث الشعبي في رواية "لونجة والغول" للأديبة زهور ونيسي، رابطة أدباء الشام، <http://odabasham.net>، بتاريخ: 11-12-2024، الساعة: 10:40
- ¹² - ينظر: حنان بن قيراط، تحليلات الثورة التحريرية في رواية لونجة والغول لزهور ونيسي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج12، ع2، يونيو، 2023، ص: 488-503
- ¹³ - ينظر: زهور ونيسي، لونجة والغول، ص: 5 و6
- ¹⁴ - المصدر نفسه، ص: 7-110
- ¹⁵ - المصدر نفسه، ص: 9-10-12-13-17-24-29-48-68-91-93
- ¹⁶ - ينظر المصدر نفسه، ص: 9-19 -
- ¹⁷ - المصدر نفسه، ص: 20
- ¹⁸ - المصدر نفسه، ص: 32
- ¹⁹ - المصدر نفسه، ص: 15
- ²⁰ - المصدر نفسه، ص: 116-121
- ²¹ - المصدر نفسه، ص: 71
- ²² - المصدر نفسه، ص: 15-20-22-38-44-75-79
- ²³ - المصدر نفسه، ص: 9-11-14-18-23 بتصرف
- ²⁴ - المصدر نفسه، ص: 43

6. قائمة المراجع:

- زهور ونيسي، جسر للروح وآخر للحنين، مكتبة نوميديا، منشورات زرياب، 2006، صفحة الغلاف
- زهور ونيسي، الظلال الممتدة، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1985، صفحة الغلاف
- زهور ونيسي، لونجة والغول، مطبعة دحلب، حسين داي، الجزائر، ص:8.
- حنان بن قيراط، تجليات الثورة التحريرية في رواية لونجة والغول لزهور ونيسي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج12، ع2، يونيو، 2023، ص:488-503
- عبد القادر كعبا، 2024، بنية التراث الشعبي في رواية " لونجة والغول " للأديبة زهور ونيسي، رابطة أدباء الشام، <http://odabasham.net>، بتاريخ: 2024-12-11، الساعة: 10:40
- موسوعة ويكيبيديا الحرة، 2023، زهور ونيسي، <https://ar.wikipedia.org/wiki>، ، آخر تعديل للصفحة: 03 أكتوبر 2023، تاريخ الدخول: 2024/12/28، الساعة: 16:26